﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام: 44]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لما قبلها:

الفرح بالنّعماء بعد الابتلاءِ بالبأساءِ والضّراءِ، استدراجٌ

قال الرّازي في بيان مناسبة الآية: "هذا الكلام من تمام القصَّة الأولى، فبيَّن الله تعالى: أنَّه أخذَهم أوّلًا بالبأساء والضَّرّاء لكي يتضرَّعوا، ثمَّ بيَّن في هذه الآية أنَّهم لمّا نسوا ما ذكِّروا به منَ البأساء والضَّرّاء؛ فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيء، ونقلناهم منَ البأساء والضَّرّاء إلى الرّاحة والرَّخاء وأنواعِ الآلاء والنَّعماء"[1]، فلمّا لم تُهذِّبْهم الشَّدائدُ وتركوا الاتِّعاظَ بها؛ اختبرهم بالنِّعم، ففتح عليهم أبوابَ الرِّزق، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَسُواْ﴾: النون والسين والحرف المعتلّ أصلٌ يدلُّ على إغفال الشَّيء، وعلى تركه، نسيتَ الشَّيءَ، إذا لم تذكرْه، والنِّسيانُ: تركُ الإنسان ضبطَ ما استودع، إمّا لضعف قلبِه، وإمّا عن غفلة، وإمّا عن قصد حتَّى ينحذفَ عنِ القلب ذكرُه[3]، وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: "تركوا ما ذُكِّروا به منَ المواعِظِ والإنذارِ"[4].

2) ﴿فَتَحۡنَا﴾: (فتح) أصلٌ يدل على خلاف الإغلاق، والفتحُ: إزالةُ الإغلاق والإشكال، ويقال: فتح، وقولُه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/534، والنيسابوري، غرائب القرآن: 3/79.
(2) ابن جزي، التسهيل: 1/261، والمراغي، تفسير المراغي: 7/124، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2499.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (نسي/نسى).
(4) العليميّ، فتح الرحمن: 2/396.

﴿وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1] يحتملُ النُّصرةَ والظَّفرَ والحكمَ[1]، و"الفتحُ: جعلُ الشَّيء الحاجز غيرَ حاجزٍ وقابلًا للحجز، كالباب حين يُفتحُ"[2].

3) ﴿بَغۡتَةً﴾: (بغت) أصلُ البغت: أنْ يَفْجَأ الشَّيءَ، والمباغتةُ: المفاجأةُ[3]، ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ فجأةً، ومفاجأةً[4]، وهو الأخذُ على غِرَّة من غير تقدمةِ أمارةٍ، فلم يتقدَّم عندهم منها علمٌ[5]، والبغتةُ "فَعْلة منَ البَغت وهو الفجأة، أي: حصولُ الشَّيء على غيرِ ترقُّب عند مَن حصلَ له، وهي تستلزمُ الخفاءَ؛ فلذلك قوبلت بالجهرةِ في الآية الآتية"[6].

4) ﴿مُّبۡلِسُونَ﴾: (بلس) أصلٌ يدلُّ على اليأس، أبلس الرَّجل سكتَ، والإبْلاسُ: الانكسارُ والحُزن، يقال: أَبْلَسَ فلانٌ؛ إذا سكت غمًّا، وهو: الحُزنُ المعترضُ من شدَّة البأس، ولمّا كان المبلس كثيرًا ما يلزم السُّكوتَ، وينسى ما يُعنيه؛ قيل: أَبْلَسَ فلان: سكت، وانقطعت حجَّتُه[7]، وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ (المبلس) الحزينُ الباهتُ اليائسُ منَ النَّجاة عند ورود الهَلكة، لا يُحيرُ جوابًا لشدَّة ما نزل به من سوء الحال[8]، وهو "الوُجومُ والسُّكوتُ عند طلب العفو يأسًا منَ الاستجابة"[9]، والحزنُ المعترضُ من شدةِ اليأسِ والنَّدم[10].

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لما أعرض أولئك الأقوام عما أنذرهم به رسلهم، وتركوا الاهتداءَ به؛ بُلوا بالحسنات، وفُتحت عليهم أبوابُ الرزق ورخاء العيش، فلم تربِّهم تلك النِّعمُ، بل بَطِروا، واستكبروا حتى إذا ظنّوا أنَّ الذي أوتوا إنما هو باستحقاقهم؛ أخذناهم بعذاب الاستئصال حالَ كونِهم مبغوتين، إذ فاجأهم على غِرة من غير سبْقِ أماراتٍ ولا إمهالٍ للاستعداد أو للهرب، فإذا هم يائسون منَ النّجاة[11].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (فتح).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/229.
(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (بغت).
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 134، والواحدي، البسيط: 8/150، والزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/249.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/293، والشّوكاني، فتح القدير: 2/133.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/231.
(7) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (بلس).
(8) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/292، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/535.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/231.
(10) العليميّ، فتح الرحمن: 2/397، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/515.
(11) المراغي، تفسير المراغي: 7/124 - 125، وينظر: رضا: المنار: 7/346.

والمعنى: "فلمّا أعرضوا عن النُّذُر والعظات التي وجّهها إليهم الرّسلُ؛ فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيء منَ الرِّزق وأسبابِ القوَّة والجاه، حتَّى إذا اغتروا، وبَطِروا، بما أوتوا من ذلك أخذناهم بغتةً، فإذا هم متحسِّرون يائسون منَ النَّجاة"[1].

نسيان التّذكير، والفرح بالخير الغزير انتهى بهم إلى الهلاك والإبلاس

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### أثرُ الفاء الفصيحةِ في تقدير المحذوفِ في قولِه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾:

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ عبَّر بالفاء الفصيحة التّي "تُفصحُ أنَّ الكلام مبنيٌّ على اعتبار الحذف"[2]، فإنَّ النّسيان لا يتحقَّق إلّا بالانشغال، فهو "عطفٌ على مقدَّرٍ ينساقُ إليه النَّظمُ الكريمُ، أي: فانهمَكوا فيه، ونسوا ما ذُكِّروا به منَ البأساء والضَّراء، فلمّا نسوه ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من فنون النَّعْماء على منهاج الاستدراج"[3].

إفصاح الحرف عن المحذوف، يزيد السّياق روعة وجماليّة

### بلاغةُ معنى الظّرف والشَّرطِ في ﴿فَلَمَّا﴾ وما يتبعها:

في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عبَّر بـ ﴿فَلَمَّا﴾ الدّالّةِ على الزّمان والشّرط للدّلالة على اقتران النّسيانِ بوقتِ فتْحِ أبواب الخيرِ، فهو "حرفُ شرطٍ يدلُّ على اقتران وجود جوابِه بوجود شرطِه، وليس فيه معنى السّببية مثلُ بقيَّة أدوات الشرط"[4]، ونفى بعضُ العلماء أن يكون فيه معنى الشَّرط، فذهبوا إلى أنَّه "ظرفٌ بمعنى: حين، وليس فيه معنى الشّرط؛ إذ لا يظهر وجهُ سببية النّسيان لفتح أبواب الخير"[5]، وأورد الآلوسيُّ توجيهًا لهذا الاعتراض: "واستُشكل ذلك بأنَّه لا

أهميّة الاقتران بين النِّسيان وفتحِ أبوابِ الخير

(1) طنطاوي، الوسيط: 5/74.
(2) زاده، حاشية على البيضاوي: 4/43.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/133.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/229.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 4/60.

يظهر وجهُ سببيَّة النِّسيان لفتح أبواب الخير، وأجيب بأنَّ النِّسيان سببٌ للاستدراج المتوقِّف على فتح أبواب الخير، وسببيَّةُ شيء لآخر تستلزم سببيَّته لما يُتوقَّف عليه"[1].

### بلاغةُ المجاز المرسَلِ في استعمال مادّة النّسيان:

التّـهـاونُ يُـورِّث النِّـسيانَ، ومن نـسيَ الـقـليـلَ؛ نسيَ الكثيرَ

في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ عبَّر بالنّسيان عن تركهم الاتّعاظَ، "أي: تركوا الاتّعاظَ بما ذُكروا به منَ البأساء والضّراء، ولم ينزجروا"[2]، فالتّعبيرُ بالنّسيان إنّما هو "مجازٌ عنِ التَّرك، وعدمِ العمل والاتّعاظ"[3]؛ لأنَّ نسيانَ الشّيء يدلُّ على تركه بدلالة اللّزوم[4]، وإنّما فُسِّر النّسيانُ بالترك هنا؛ "لأنَّ النّسيان لو كان على حقيقته لم يُؤاخَذوا به، إذ ليس هو من فعْلِهم"[5]، والغايةُ منَ التّعبير بالنّسيان دون التّصريح بالتّرك المبالغةُ في عدم اتِّعاظهم[6]؛ لأنَّ النِّسيان يدلُّ على أنَّ التَّذكير قد زال من أذهانهم[7]، وهذا أبلغُ في بيان تركهم الاتّعاظَ، والمعنى: أنَّهم قد "كانوا بتلك القسوة وتزيينِ السّوء ناسين لِما ذُكِّروا به؛ فقد ذُكِّروا بالبأساء والضَّرّاء وبسبب قسوةِ قلوبهم تركوا ما ذُكِّروا به، والنِّسيان هنا ليس هو مجرَّدَ التِّرك، إنَّما هو نسيانُ آثار الضَّرّاء والبأساء"[8].

### نكتةُ استعمالِ ﴿مَا﴾ بدلًا منَ الاسم الموصولِ الظّاهرِ:

النِّـسيانُ كـان عامًّا لكلِّ ما ذُكِّر به الأقوامُ

عبَّر بالاسم الموصولِ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ للدّلالة على نِسيانهم عمومَ ما ذكِّروا به، فنسيانُهم ليس مقتصِرًا على ما ذكِّروا به من شأن البأساء والضّراء، بل نسوا جميعَ ما

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/144.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/118.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 4/61.
(4) القونوي، حاشية على البيضاوي: 8/97.
(5) الشّوكاني، فتح القدير: 2/132، والقنّوجي، فتح البيان: 4/141.
(6) القونوي، حاشية على البيضاوي: 8/97.
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/292.
(8) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2500، وينظر: طنطاوي، الوسيط: 5/74.

ذُكِّروا به، واللّه تعالى إنَّما استدرجَهم بفتح أبواب الخير لما أنَّهم أوغلوا في النِّسيان، فلمّا نسوا عمومَ ما بُلِّغوا به أملى لهم استدراجًا.

**بلاغةُ العُدول عن لفظ (الدّعوة)، إلى لفظ (التّذكير):**

التَّذكيرُ يُقابل النِّسيانَ، وهو مرحلةٌ ناجمة عنِ الدَّعوة

عبَّر تعالى عنِ الرِّسالة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ فآثر لفظَ (التَّذكير) دونَ (الدَّعوة)؛ فلم يقل: (ما دُعوا إليه)؛ لما فيه منَ الدَّلالة على أنَّ الرِّسالةَ كانت تامَّةً والشَّريعةَ بيِّنةً، ولكنَّهم أعرضوا عنها، فناسب لفظُ التَّذكير؛ لأنَّه يقابلُ النِّسيانَ، ولم يناسبْ لفظَ الدّعوة؛ لأنَّهم قد دعَوا من قبلُ، وتبيَّن لهمُ الحقُّ، فعزَفوا عنه، ونسوه إهمالًا له، وفيه تناسبٌ لفظيٌّ؛ إذ سبقه لفظ النِّسيانِ، فكان يناسبُه التَّذكيرُ.

**دلالةُ بناء فعْلِ ﴿ذُكِّرُواْ﴾ للمفعول، وتعديته بحرف (الباء):**

الاهتمامُ بالمذكَّر بـه لـذاتِـه، لا بكونِه صادرًا عن مُعيَّن

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ عبَّر عمّا ذكِّروا به بالفعل المبني للمفعول؛ اهتمامًا بالمذكَّر به لا بالنَّظر إلى تعيين من ذكَّرهم، فالمقصودُ أنَّهم غفَلوا عن مضمون الدَّعوة، وفي هذا تأكيدُ استقلال الرِّسالة بالمكانة الرَّفيعة، وجدارتِها بأن تُتَّبع لذاتها لا بالنِّسبة إلى المُبلِّغ والرَّسول.

**براعةُ استعمالِ ﴿فَتَحْنَا﴾، دونَ (بسطنا عليهم) أو (رزقناهم):**

التَّعبيرُ بفتحِ الأبـواب عن بسـط الـرِّزق لإزالـة ما يمنعُ الخيرَ

عبَّر عن بسط الخير لهم بفتح الأبواب على طريقة الاستعارة؛ حيث "شبَّه الأسبابَ التي هيأها اللّه لهم، المقتضيةَ لبسط الرّزق عليهم بالأبواب، بجامع الوصولِ إلى المقصودِ في كلٍّ على طريقة الاستعارة التّصريحية"[1]، وفي هذا التَّعبير منَ الدَّلالة على السَّعَة ما ليس في (رزقناهم)؛ إذِ الفتحُ يدلّ على فتح المغلَق وإزالةِ الحاجز، "فالفتحُ هنا استعارةٌ لإزالة ما يُؤلم ويغمُّ، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/337.

أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ومنه تسميةُ النّصر فتحًا لأنّه إزالةُ غمّ القهر"[1].

**بلاغةُ تعديّةِ ﴿فَتَحۡنَا﴾، بحرف الاستعلاء ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ دون اللّام:**

تمكُّن الخير منَ الأمم للشُّكرِ، لكنَّهم أرادُوه استدراجًا

التّعبيرُ بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ "يرسم صورةً بليغةً لإقبال الدّنيا عليهم من جميع أقطارها بجميع ألوان نِعَمها، وبكل قوّتها وإغرائِها، فهو اختبارٌ لهم بالنّعمة بعد أنِ ابتلاهم بالبأساء والضّراء"[2]، وفيه إشعارٌ باستعلاء الفاتحِ أبوابَ الخير عليهم، وفيه منَ الامتنان الدّاعي إلى الامْتنان، لكنَّهم أرادوا الامتنانَ استدراجًا.

**توجيهُ القراءاتِ القرآنيّة، في قوله تعالى: ﴿فَتَحۡنَا﴾:**

دلّ التّضعيفُ على التّكثير، والتّخفيفُ على اليُسر

في قوله تعالى ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ قراءتان؛ فقرأ الجمهورُ بالتّخفيف ﴿فَتَحۡنَا﴾، وقرأ ابنُ عامر: (فتّحنا) بالتّثقيل، "والتّثقيلُ مُؤذِنٌ بالتّكثير؛ لأنّ بَعْدَهُ ﴿أَبۡوَٰبَ﴾ فناسب التّكثير"[3]، فالتّثقيلُ أفاد المبالغةَ "في الفتح بكثرته كما أفاده قولُه: ﴿أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾"[4]، وأمّا التّخفيف ففيه سهولةُ الفتحِ ويُسرُه على الفاتحِ سبحانه، فهو خيرٌ كثيرٌ جاء بيُسر وسهولةٍ، وهذا من ألطفِ أنواع الرِّزق الذي يُصيبُ العبادَ.

**نكتةُ تقديم ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، على المفعول ﴿أَبۡوَٰبَ﴾:**

إفادة التّقديم التّخصيصَ للمقدَّم، والتّشويقَ للمؤخَّر

قدَّم الجارَّ والمجرورَ على المفعول به في قوله تعالى: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾، وأصلُ الكلام في غير النَّظم الكريم: (فتحنا أبواب كلِّ شيء عليهم)؛ وإنَّما قدَّمه للدَّلالة على تخصيصِهم بذلك الفتحِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/229، 230.
(2) طنطاوي، الوسيط: 5/75.
(3) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 8/150، وزاده، حاشية على البيضاوي: 4/44، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/133.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/230.

مبالغةً في استدراجهم، وفي تأخير المفعول به دلالةٌ على التَّشويق، فإنَّ تأخيرَ ما حقُّه التَّقديمُ يضعه تحت ترقُّب السّامع، فيتطلَّعُ له بتشوُّق.

### بلاغةُ استعمال لفظِ ﴿أَبْوَابَ﴾:

الفتح يشير إلى أنَّ أبوابَ الرّزق كانت شبهَ مغلقةٍ

قولُه تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لمّا ذكر أنَّه يفتحُ الأبوابَ دلَّ على أنَّها كانت شبّهَ مغلقةٍ، والمعنى: فتحنا أبوابَ كلِّ شيء منَ النِّعم والخيرات بعد أن كانت قليلةً صعبةَ المنال، أي: كثَّرنا لهم ذلك، والتَّقديرُ: فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيءٍ كان مغلقًا عنهم منَ الخير[1]، و"نقلناهم منَ الشِّدّة إلى الرَّخاء، وذلك استدراجًا لهم"[2].

### دلالةُ جمعِ أبوابٍ المضافة لمضاف:

عموم المضافات تـــــرقٍّ في العـمـومـات، وهـــــذا مـن بـديـع الـوصْـفِ للاستدراج

في قوله ﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ذكر تعالى الأبوابَ بصيغة الجمع، وأضافه لـ ﴿كُلِّ﴾ الدّالِّ على الشُّمول، وأضافه إلى لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ الواردِ بصيغة التّنكير، كلُّ ذلك دلَّ على السّعةِ والعموم، "والإبهامُ في هذا العموم لتهويل ما فُتحَ عليهم وتعظيمِه"[3]، وذلك للإيغال في الاستدراج، أي: "استدرجْناهم بفتح أبوابِ كلِّ نوعٍ من أنواع الخيرِ عليهم"[4].

### بلاغةُ التَّخصيصِ السِّياقيّ في: ﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾:

المرادُ بالعموم: الـتَّـكـثـيرُ لا الإحاطةُ

العمومُ الواردُ في قوله تعالى: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ليس على إطلاقه، فهو يدلُّ على "ما كان سُدَّ عليهم بالبأساء والضَّرّاء منَ النِّعم الدنياويَّة، فهو عمومٌ معناه: خصوصٌ"[5]، وهذا التَّعميمُ إنَّما يختصُّ بما يُتصوَّر في حياة النّاس، فقولُه: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ "المرادُ به التَّكثيرُ لا التَّعميمُ والإحاطةُ"[6].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/535، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/426، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 8/151، والنيسابوري، غرائب القرآن: 3/79.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/114 - 115.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/515، والهرري، حدائق الروح والريحان: 8/337.

(4) القنّوجي، فتح البيان: 4/141.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/292.

(6) الخفاجي، عناية القاضي: 4/61.

### دلالةُ اجتماع (حتّى) مع (إذا)، في: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾:

اقـــتران نـــزولِ النِّـعـم وطـول مُكثِها بقسوةِ القلبِ، استدراجٌ يوجبُ الفرارَ

اجتمع في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ حتَّى الابتدائيّةُ مع إذا الشّرطيّةِ، والمرادُ منه مدُّ الزّمان حتى يطمئنّوا، "ومددْنا زمانَه وطوَّلنا أيّامَه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ﴾، أي: تناهى بهم الفرحُ ﴿بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾"[1]، فإنَّ إمهالهم بسبب الاستدراج أوهمَهم "أنَّ الذي نزل بهم منَ البأساء والضّراء ما كان على سبيل الانتقام منَ اللّه ولمّا فتحَ اللّه عليهم أبوابَ الخيرات ظنّوا أنَّ ذلك باستحقاقهم، فعند ذلك ظهرَ أنّ قلوبَهم قستْ، وماتتْ، وأنه لا يُرجى لها انتباهٌ بطريقٍ منَ الطُّرق"[2]، وهذا الإمهال ومدُّ الزَّمان بالخيرات من تمام الاستدراج، وإظهارٌ لمدّة نسيانِهم.

### دلالةُ لفظ ﴿فَرِحُواْ﴾ على تحقّق مقصودِ فتحِ الأبواب:

فتحُ أبوابِ الرِّزقِ طـريـقُ فـتـحِ أبوابِ الفرحِ

لمّا كان المرادُ من فتح الأبواب بخيرات الأرض استدراجَهم وإيهامَهم بالرِّضا؛ عبَّر عن تحقُّق المراد بأنَّهم فرحوا؛ إذِ الفرحُ يدلُّ "على البَطَر والاشتغالِ بالنّعمة عنِ المُنعِم، معرضين عنه، وعنِ القيام بحقِّه[3]، فأخبر بذلك تمهيدًا لأخذهم، "وغيّا الفتحَ بفرحهم بما أوتوا، وترتَّب على فرحِهم أخذُهم بغتةً، أي: إهلاكُهم فجأةً، وهو أشدُّ الإهلاك"[4]، كما أنَّ فيه دلالةً على ظنِّهم بكونِه لا ينقطعُ، بمعنى: أنَّهم "بطِروا، وأشِروا، وأُعجبوا، وظنّوا أنَّ ذلك العطاءَ لا يبيدُ، وأنَّه دالٌّ على رضاء اللّه ﷻ عنهم"[5].

### سرُّ التّعبير بصِيغة الماضي ﴿فَرِحُواْ﴾:

تصويرُ مشهدِ النِّهايات الّذي يـتـحـقَّـقُ فيه الاعتبار

آثر النَّظمُ أنْ يعبِّرَ عن فرحهم بالفعل الماضي، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ﴾ ولم يعبِّر بالمضارع الدّالِّ على الاستمرار: (إذا هم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/115

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/535، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/133 - 134.

(3) القونويّ، حاشية على البيضاوي: 8/100.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/515.

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/426.

يفرحون)؛ لأنه أراد استحضارَ نهاية فرحِهم في ذهنِ المخاطَب، ولم يُرد استحضارَ استمراره، فالفعل الماضي دلّ على أنه فرحٌ لم يدُمْ طويلًا، ويدلُّ على ذلك حرفُ الابتداء ﴿حَتَّىٰٓ﴾؛ إذ عند أوَّلِ فرحهم حلَّت نهايتُهم، ففيه تصويرُ مشهدِ النِّهايات، إذِ العبرةُ فيه لا في امتدادِه واستمرارِه.

### بلاغةُ التّعبير عن فتحِ الأبواب ﴿بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾:

الإشـــارةُ إلى ظـنّـهـم أنّـهـم أُوتوه بأنفسِهم، وهذا مبلغُ الدَّاء ورأسُ البلاء

قولُه ﷻ: ﴿بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ تعبيرٌ عن ظنّهم أنّهم أوتوه بعلمِهم، دلالةٌ على كمال إعراضِهم عنِ اللّه تعالى، أي: "معرضين عمّن آتاهم هذا الرّخاءَ بعد أن كان ابتلاهم بذلك"[1]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم نسوا فاعلَ ذلك الإيتاء؛ فلذا عبَّر عنِ الإيتاء "بالبناء للمفعول؛ لأنَّهم يَحسبون أنَّ ذلك بعلمِهم وقدرتِهم وحدَهم، كما جاء على لسان واحد من أمثالهم، وهو قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾"[2].

### دلالةُ فعل الأخْذِ المسنَدِ إلى ضمير العظَمةِ:

مـن أخـذه الله بـذنـوبـه، فلا مـلـجـأ لـه ولا منجى

عبَّر عنِ الأخذ في قوله تعالى: ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ بإسناده إلى نون العظَمة للدَّلالة على أنَّ اللّه تعالى يأخذُهم بما له من صفات العظَمة[3]، كما أنَّ الأخْذَ يُشعر بالشِّدَّة لا سيما بنون العظَمة[4]، ففي ذلك مبالغةٌ وتأكيدُ شدّة أخْذِه ﷻ.

### دلالةُ حذفِ متعلّقِ فعلِ (أخذنا):

العـبرةُ بوقوع الأخـذِ بغتةً، لا تعيينُ ماهيَّتِه

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أطلقَ الأخذَ ولم يقيِّدْه بالعذاب، فلم يقل: (أخذناهم بالعذاب)؛ ليشملَ جميعَ ما يُتوقَّع، وما يكونُ سببًا في استئصالهم؛ لأنَّ " ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/115.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2501، وطنطاوي، الوسيط: 5/75.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/115.
(4) القونويّ، حاشية على البيضاوي: 8/100.

في هذا الموضع معناه استأصلْناهم، وسطَوْنا بهم"[1]، فالإطلاقُ فيه إرخاءُ سبيلِ العنان للخيال بتصوُّر ما نالهم بأخذِه لهم ﷻ، ولأنَّ المقصودَ بالأخذ أنَّه جاء بغتةً لا ما هو الآتي.

### نكتةُ استعمالِ ﴿بَغْتَةً﴾ دونَ فجأة:

البغتُ فيه خفاءٌ وعدمُ ظهورٍ، أمّا الفجأة ففيها الهجومُ من غير مقدِّماتٍ؛ فلذا عبَّر القرآن عنِ العذاب والقيامة بأنَّها تأتي بغتةً، وقابل البغتةَ بالجهرة، والجهرةُ تعني الإعلانَ، فالبغتةُ هي خلافُ الإعلان، ودأبَ القرآنُ الكريم على التّعبير بالبغتة في موضوعين: نزولِ العذاب، ومجيءِ السّاعة، وكلاهما يأتيان بخفاء، لكنَّ البغتةَ أشدُّ خفاءً.

**البغتةُ تدلُّ على الخفاء، والفجأةُ على الهجومِ بلا مقدِّماتٍ**

### دلالةُ دخولِ (الفاء)، على (إذا) الفجائيّةِ:

(إذا) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ فجائيةٌ[2]، والفاءُ "للسببية، فإنّ مفاجأتَهم إبلاسَهم مسبّبةٌ عنِ الأخذ، أو للعطف بحسب المعنى، أي: أُخذوا بغتةً فاجَؤوا إبلاسَهم"[3]، وفائدةُ دخول الفاء على (إذا) الفجائيّةِ: الدّلالةُ على السّرعة والسّببيّةِ، فبعد الأخذِ بغتةً سقطَ في أيديهم، فلم يُحيروا جوابًا، ولم يعقِّبوا على ما حدثَ، "فاجأ عَقيبَه الإبلاس، أي: التَّحسُّر واليأس"[4].

**تفريعُ الإبلاس على الأخذ، ذهول من سُرعةِ الأخْذِ**

### سرُّ استعمال ﴿مُّبْلِسُونَ﴾، دون ما يُقاربُها في المعنى:

لمّا أراد النَّظمُ بيانَ حالتهم في تلقّي ذلك الأخذِ المفاجئِ عبَّر عن ذلك بالإبلاس الدّالِّ على الوجومِ والسّكوت، دون أن يذكرَ الإياسَ أو التَّحيُّرَ، وهذا تصويرٌ دقيقٌ للحدث "أي: تسبّبَ عن ذلك البغت:

**الإبلاسُ دالٌّ على الدَّهشة من سُرعة الأخذ، وهو مُصوّرٌ لحالتِهم**

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/292.
(2) طنطاوي، الوسيط: 5/75.
(3) القونويّ، حاشية على البيضاوي: 8/100.
(4) القونويّ، حاشية على البيضاوي: 8/100.

أن فاجؤوا السّكوتَ على ما في أنفسهم، واليأسَ تحسُّرًا وتحيُّرًا، واستمرّوا بعد أن سكتوا إلى أن همَدوا وخفَتوا"[1].

**دلالةُ التّعبير بالجملةِ الاسميّةِ ﴿هُم مُّبْلِسُونَ﴾:**

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ عبّر عن حالهم بالجملة الاسميَّة في بيان حسرتهم، وأنَّهم واجمون "دلالةً على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعةِ"[2] التي انتهوا عليها.

حـالـةُ الإبـلاس والـــوجـــومِ مستمرّةٌ لا تزول

## ❁ الفروقُ اللُّغويَّة:

**(النّسيان) و(الغفلة):**

الغفلةُ: عبارةٌ عن عدمِ التَّفطُّن للشَّيء، وعدمِ عقليته بالفعل، سواء بقيت صورتها أو معناه في الخيال، أو الذِّكر، أو انمحت عن أحدهما، وهي أعمُّ منَ النّسيان؛ لأنَّه عبارةٌ عنِ الغفلة عنِ الشَّيء مع انمحاء صورته أو معناه عنِ الخيال، أو الذَّكر، بالكليَّة، ولذلك يحتاجُ النّاسي إلى تجشُّم كسْبٍ جديدٍ وكُلفةٍ في تحصيله ثانيًا[3].

النِّسيانُ انمحاء الـــشَّيء مـنَ الذِّهن بالكلِّيَّة، والـغـفـلـةُ عـدمُ التَّفطُّن للشّيء

والّذي يناسبُ الآيةَ (النِّسيان)؛ لأنَّهم غفلوا عمّا ذكِّروا به، فإنَّ "النِّسيان إنَّما يكون عمّا كان"[4]، فهم نسوا التَّذكيرَ من أصله، وليس أنَّهم غفلوا عنِ التَّفطُّن له، والنِّسيانُ يعبِّرُ عن خُلوِّ ذهنهم من ذكره لانتفاء مُبالاتهم به.

**(الفرح) و(البطر):**

"البطرُ سوءُ استعمال النّعمة"[5]، أمّا الفرح؛ فهو قريبٌ من السُّرور، ويختلف عنه بأنَّه سرورٌ" بما ليس بنفعٍ ولا لذَّةٍ، كفرح الصَّبي بالرَّقص والعَدْو والسِّباحة وغيرِ ذلك ممّا يُتعبه، ويُؤذيه، ولا

الـبـطـرُ سـوءُ اسـتـعـمـال النِّعمة، والفرحُ سرورٌ بما ليس بنفعٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/115.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/134.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 389.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 97.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 231.

يُسمَّى ذلك سرورًا؛ ألا ترى أنَّك تقول: الصِّبيان يفرحون بالسِّباحة والرَّقص، ولا تقول يُسرّون بذلك"[1]، وفي الآية لم يرد أنَّهم أساؤوا استعمالَ النّعمة بكُفرها وعدمِ شُكرها، بل أراد أن يبيِّن أنَّهم كانوا مسرورين بما ليس فيه انتفاعٌ.

**(الفرح) و(السّرور):**

"السُّرور لا يكون إلّا بما هو نفعٌ، أو لذَّةٌ على الحقيقة، وقد يكون الفرحُ بما ليس بنفعٍ ولا لذَّة، كفرح الصَّبي بالرَّقص والعَدْو والسِّباحة وغيرِ ذلك ممّا يُتعبه ويُؤذيه، ولا يسمَّى ذلك سرورًا؛ ألا ترى أنَّك تقول: الصِّبيان يفرحون بالسِّباحة والرَّقص، ولا تقول: يُسرّون بذلك، ونقيضُ السُّرورِ الحُزنُ، ونقيضُ الفرحِ الغمُّ"[2].

السُّرور يكون بما هو نفعٌ، أو لذَّةٌ، والفرحُ يكون بما ليس بنفعٍ

وفي الآية آثر التَّعبيرَ بالفرح دون السرور؛ لأنَّه فرحٌ بعرض الدُّنيا الزّائلِ مما لا نفعَ فيه على وجه الحقيقة، ولأنَّه أدَّى إلى إعراضِهم عنِ التَّضرُّع إلى الله تعالى، فهو فرحٌ بضرَرٍ.

**(بغتة) و(فجأة):**

دأب اللُّغويّون على تفسير البغتة بالفجأة، والفجأة بالبغتة، "البَغْت: مفاجأة الشَّيء من حيث لا يُحتسب"[3]، وأصلُ البغت: أنْ يَفْجَأ الشَّيء، والمباغتةُ: المفاجأة[4]، والبغتةُ "فَعْلة منَ البَغت، وهو الفجأةُ، أي: حصولُ الشَّيء على غير ترقُّب عند مَن حصلَ له، وهي تستلزمُ الخفاءَ"[5].

الفجأةُ: الإتيانُ دون مقدِّمة، والبغتةُ الإتيانُ من غير عيانٍ وإظهارٍ

أمّا الفجأةُ؛ فمن قولهم: "فجأ الأمرُ: هجم عليه من غير أن يشعرَ به، وقيل: إذا جاءه بغتةً من غير تقدُّم سببٍ، وكلُّ ما هجم عليك من أمر لم تحتسبْه، فقد فجأك"[6].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 265 - 266.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 265 - 266.
(3) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (بغت).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (بغت).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/231.
(6) الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص: 155 - 156.

والفجأةُ: هي مواجهةُ شيءٍ دفعةً وبدون مقدِّمة ظاهرةٍ، وقولُه تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾؛ فإنَّ مقابلة البغتةِ بالجهْرةِ تدلُّ على أنّ حقيقةَ البغتة عبارةٌ عن إتيان شيءٍ دونَ إعلام وإظهارٍ؛ فإنّ الجهرة: هي العيانُ والظهورُ، وبهذا يظهرُ الفرقُ بين البغتة والفجأة: فإنّ الفجأةَ: هي الإتيانُ بلا مقدِّمة، وهي الهجومُ دفعةً، وأمّا البغتةُ؛ فهي الإتيانُ من غير عيانٍ وإظهارٍ، فمجيءُ السّاعةِ والعذابِ، والأخذِ من هذا النَّوع، وهذا التَّعبيرُ ألطفُ منَ الفجأة؛ فإنَّ مجيئَها ليس بلا مقدِّمة، بل بلا مقدِّمةٍ ظاهرةٍ، ونجدُ أنَّ لفظَ البغتة استُعمل مع نزول العذاب ومع قيام السّاعةِ، وكلاهما الفجأةُ فيهما شديدةٌ.

### (الشَّيْطَان) و(إِبْلِيس):

إبليسُ هو زعيمُ الشّياطين

يَرِدُ لفظُ (إِبْلِيس) في القُرْآنِ الكَريمِ مُرادًا به اسمٌ عَلَمٌ على الذي امْتَنَعَ عن السُّجودِ لآدَمَ عليه السلام، كما في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]، وهوَ مشتَقٌّ مِنَ الإِبْلاسِ، وهو شدَّة اليأْسِ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَهُ آيسَهُ مِنْ كُلِّ خيرٍ.

أمّا الشَّيطانُ؛ فيقَعُ وصفًا لكلِّ عاتٍ متمرِّدٍ مِنَ الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ، فلفظُ الشَّيطانِ أَعَمُّ مطلقًا مِنْ إبليسَ[1].

### (التّزْيين) و(التّسْويل):

التَّزيينُ خطابُ النَّفس، والتَّسويلُ خطابُ العقل

التَّسْويل: تَحْسينُ الشَّيْءِ وتزيينُه وتَحْبيبُه إلى الإنسان ليَفْعَلَهُ أَو يَقولَهُ، كما في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ [يوسف، 18، 83][2].

وكذا التَّزيينُ هو إظهارُ حسنِ الشّيء، إمّا بالفعل، أو بالقول،

(1) ابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (فجأ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (سول).

ومنه قولُ الله تعالى عن فعلِ الشّيطانِ مع الكفّارِ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: 48][1].

والفرقُ بينهما أنَّ التَّزيينَ يغلبُ في خطابِ النَّفسِ وهواها، أمّا التَّسويل فيغلبُ في خطابِ العقلِ، فيبدأ الأمر مزيَّنًا فيرفضه العقل، فيأتي دورُ التَّسويلِ ليُكمِل المسير، فالتَّزيينُ ابتداءً، والتَّسويل انتهاءً.

(1) الراغب، المفردات: (زين).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»